(حرف التاء)

* * *

١١٠- التهامى بن عبد العزيز المرى.

حاله: فقيه جليل عالم فاضل مبجل، تولى النيابة عن قاضى مكناسة السيد محمد الطيب بن محمد بصرى ووقفت على رسم مسجل عليه محلى فيه بالشريف وبالأوصاف المذكورة بتاريخ منتصف شوال عام مائتين وألف.

١١١- التهامى الغياثى.

حاله: علامة مدرس نفاع، لم أقف له على ترجمة غير أنه كان بقيد الحياة فى جمادى الأولى عام تسعة وأربعين ومائة وألف من جملة مدرسى الأعظم كما بقائمة المرتب الشهرى للعلماء المدرسين فى ذلك العصر.

١١٢- التهامى أبو الفتح بن المرابط البركة السيد حمادى بن عبد الواحد المطيرى الحمادى المكناسى.

حاله: علامة مشارك مطلع نحرير، أديب أريب، نقاد محدث متقن متضلع، تولى خطة القضاء أولا بمكناس ثم مراكش، وقفت على رسم مسجل عليه مدة توليته بمكناس بتاريخ ثلاث وثلاثين ومائتين وألف، محلى فيه بالعالم الناسك البركة الخطيب البليغ القدوة المدرس المحقق الحجة، ونص شكله التهامى ابن محمد المطيرى الحمادى.

وكان شيخ الحديث فى مجلس السلطان المولى عبد الرحمن، ثم اصطفاه للقراءة معه سفرًا وحضرًا يظعن بظعنه ويقيم بإقامته، ثم وجهه بين يديه لفاس فعاجلته المنية.

---

١١٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٢٠.

وأصله من بنى مطير القبيلة البربرية المشهورة من فخذ يقال لهم آيت حمادى، منازلهم الآن قرب فاس.

مشيخته: أخذ عن العلامة إدريس بن زين العابدين العراقى، والشيخ الطيب ابن كيران وأجازاه عامة ودونك نصوص إجازتيهما له ومن خطوطهما نقلت:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. الحمد لله الذى جعل حبل الإسناد. من أوثق الصلة بين الله والعباد. والصلاة والسلام على أجل واسطة. وأتم رابطة. مولانا محمد المختار. وعلى آله وأصحابه الأخيار.

أما بعد: فإن المتمسك بهذا الاستدعاء الفقيه الألمعى النبيه. الأديب الأريب النزيه. السالك الإدراك المتثبت أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن المرابط البركة السيد حمادى ألهمه الله رشده، ممن لزم الجثو بين أيدينا فى مجالس العلوم. واقتنص فى إشراك فهمه من إملائنا شوارد الفهوم. برهة واسعة من الزمان. كان فيها المجلى عن الأقران. حتى حصل بحمد الله على علم وافر. ويمن فى حسن الملكة ظاهر.

ثم لما أراد الرجوع إلى مسقط رأسه. الذى هو مناط لمثمر غرسه. وكان الإسناد من الدين ولولاه لقال من شاء ما شاء، طلب من هذا العبيد الظلوم لنفسه أن يجيزه. وينصف بعامل الانتساب إبريزه. وإنى وإن لم أكن لذلك بأهل. ولا ممن أحرز فى مجاله الخصل. لكن مقابلة الرغبة بالإسعاف. كما قيل من شيم الأشراف.

فأقول: قد أجزت السيد المذكور. وفقنا الله وإياه للسعى المشكور. فيما قرأه على وفى غيره من كل ما تصح لى روايته عن أشياخى المعتبرين من منقول ومعقول ومنظوم ومنثور إجازة تامة. مطلقة عامة. بالشرط المعتبر. عند أئمة

الحديث والأثر. وعليه بشكر الله على ما أولاه من العلم، لأن الشكر مناط الزيادة وليتق الله فى السر والعلانية، لأن العمل ثمرة العلم والله ولى الهداية. فى المبدأ والنهاية.

وكتب أفقر العبيد لرحمة رب العالمين. إدريس بن على زين العابدين. حلاه الله بصفات اليقين. العراقى الحسينى أحسن الله حاله. وجعل إلى الفردوس مآله».

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. حمدًا لمن رفع الذين أُتوا العلم درجات. وجعل نفوسهم تسرح من رياضه فى حدائق نضرات. وأذاقهم حلاوة التحقيق فهاموا طربًا بما حصرت فيه اللذة الدنيوية من العلوم والإدراكات. وصلاة وسلاما تامين على سيدنا محمد أعلم من أسند عنه الحكماء والرواة. وعلى آله الأمجاد السراة. وصحابته الأنجاد الهداة.

وبعد: فإنه لما تقرر لدى أولى الحجَا. واشتهر اشتهار الزبرقان فى الدُّجَى. أن أنفس ما تنفق فيه نفائس الأعمار. وأبهج ما تلهج فيه الألسنة وتعمل فيه عوامل الأفكار هو إنشاء حقائق العلوم. والارتقاء إلى دقائق الفهوم.

العلم نور مبين به اللبيب تحلى فقل لمن فى سواه
غلا وعنه تخلى شتان ما بين ليل داج وصبح تجلى
العلم نور مبين يستضاء به وخطة ما لها فى الحسن من مثل
فاملأ جرابك منه غير مكترث بما يراه أخو كبر وذو خجل

ولما مَنّ المولى الكريم. من فضله العميم. على كاتبه العبد الضعيف بصرف آونة من عنفوان الشباب الوريق الوريف. إلى اقتطاف نبذة من أزهاره. واستطلاع

شيء من أنواره. وورود مورد عذب من موارده. واقتناص بعض من شواذه وشوارده. جرتنى الأقدار إلى إملاء بعض الدروس. إسعافا لطلاب عطشى الأكباد غرثى النفوس. فتصديت لا عن أهلية منى لذلك المنصب الوسيم. ولكن إذا اقشعرت البلاد وصوح نبتها رعى الهشيم.

ثم إن المستدعى فى الأوراق قبله الطالب الأرشد. الأنجب الأسعد. أبا عبد الله السيد محمد التهامى بن محمد الحمادى. بلغه الله أمله وأسبغ عليه جلائل الأيادى. كان ممن لزمنى مدة. وأعد للأخذ عنى عدة. فحضرنى فى مجالس منقول ومعقول. وفروع وأصول. وآلات ومقاصد. ومباحث وفوائد. وحصل بتوفيق الله على ما يسر له من فهم وعلم. وظفر بما أتيح له من حفظ وقسم. وبدت آثار رشده وهدايته ولاحت معالم تحصيله ونجابته. ولذلك أسعفته فيما التمس من الإجازة تبركا بطريق السلف وإيثارًا للاتباع. وإن كنت أقول المدار اليوم على إظهار ما وصل إليه الباع. فهو الشاهد لك أو عليك. والحجة القاطعة لديك فأقول: قد أجزت الطالب المذكور فيما رويت أو دريت إجازة تامة. مطلقة شاملة عامة. بشرط التثبت والتحرى. وأن يقول فيما لا يدريه لا أدرى. فإنها مما يكمل وليست مما يزرى. ولقد أجاد من قال:

ومن كان يهوى أن يرى متصدرا ويكره لا أدرى أُصيبت مقاتله

وذكر ابن عبد البر فى مقدمة التمهيد أن الإمام مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال فى اثنين وثلاثين لا أدرى، واشتهر عنه فى كتب الأصول أنه سئل عن أربعين فقال فى ست وثلاثين لا أدرى والله يرشدنا وإياه إلى سواء السبيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم. وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكى التسليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وكتب عبيد ربه سبحانه وتعالى محمد الطيب بن عبد المجيد شهر بابن كيران. لطف الله به وعامله فى الدارين بجزيل الإحسان».

وقد أخبرنى من وثقت بخبره من أهل العلم أنه أخذ عن السيد أحمد بن التاودى بن سودة ومن فى طبقته والله أعلم.

الآخذون عنه: منهم أبو المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسى الفهرى المتوفى بالطاعون ثامن عشرى رمضان عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، والقاضى أبو زيد عبد الرحمن البريبرى الكبير الرباطى المتوفى عاشر شوال عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف، والأخوان القاضى الأعدل أبو عيسى المهدى بن سودة المرى وأبو حفص عمر المتوفى فى متم ربيع الأول سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، والمحدث الأشهر سيدى الوليد العراقى المولود سنة تسع بتقديم المثناة ومائتين وألف كما وجد بخط يده المتوفى فى ربيع الثانى عام خمسة وستين ومئتين وألف، والعلامة السيد محمد بن عبد القادر الكردودى، وأخو المترجم السيد محمد، ومحشى ميارة السيد الطالب بن حمدون بن الحاج، وأجاز عامة للثلاثة الأخيرين باستدعاء منهم له وقفت على نص ذلك الاستدعاء ودونك لفظه:

«حمدا لمن أطلع فى سماء العلم للرواية والدراية شموسا وأقمارا، وعينهم لافتضاض الأبكار من غوانى الأفكار حتى أجرى من ينابيع حكمهم بحوراً وأنهاراً، وأهلنا للارتشاف من خلاصة رضابهم المغنى عن أحلى الضرب، حتى أسعدوه بالإرشاد نحو لمحة من فنون علمهم المزرية بشذور الذهب، وصلاة وسلاما على يتيمة الدهر، الجامع لأشتات الفضائل والفخر، المصطفى المختار، المجيز من استجازه دون إنكار، وعلى آله الأتقياء الأبرار، وأصحابه الأجلة الأخيار، وبعد: فالمطلوب من إحسان شيخنا قاضى القضاة ومن إليه المرجع فى حل المشكلات الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضح محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن

النعت والسمت، العلامة الدراكة المشارك، الذى لم يعقبه عن دائرة التحقيق متدارك، الإمام الذى به فى كل فن يقتدى، النجم الذى هو ضياء فى مشكلات العلوم وهدى، العلم الفرد الذى قصرت عن إدراك شأوه الجموع. العالم الذى انتصبت له فى الخافقين أعلام الثناء المرفوع. إمام الفصحاء. وحامل راية البلغاء.

هو البحر لا بل دون ما علم البحر هو البدر لا بل دون طلعته البدر
هو النجم لا بل دونه النجم رتبة هو الدر لا بل دون منطقه الدر
هو الكامل الأوصاف فى العلم والتقى فطاب به فى كل ما قطر الذكر

ذى الخلال التى تكل عن الحصر. والخصال التى يعترف له بها نبهاء العصر. الجامع لأوصاف الجمال وجمال الأوصاف. الحائز لأصناف المحاسن ومحاسن الأصناف. ذى السر الواضح السامى. أبى الفتح سيدى محمد التهامى بن العارف الأكبر. الولى الأشهر. الذى يحدو بمحاسنه الحاضر والبادى أبى المواهب سيدى حمادى الحمادى.

مذ أبصرت عينى محاسنه وشاهدت منه الجمال الجميل
حملت قلبى من محبته ما لم يكن يحمل قبل جميل

كيف لا وهو الفصيح الذى إن تكلم أجزل وأوجز، وأسكت ابن السكيت وابن العميد ببلاغته وأعجز، وأخمد نباهة قتيبة وابن قتيبة فى علم اللغة والغريب.

وأما السنة والكتاب، فقد أبدى فيهما ملكة مالك وابن شهاب. ولم يشك سامع أنه ابن القاسم أو ابن إدريس. إن توجه لعلوم الفقه بالفتوى والتدريس. بيد أنه هذب بتنبيهاته الحسان كل مختلطة من مقدمات المهرة الأعيان، وإذا تعرض للتصريف. أو انتحى للنحو الجليل. خلته معاذا الهرَّاء العفيف. وابن أحمد الخليل. يتصرف فى بديع الإنشاء. بما يشاء.

إن هز أقلامه يوما ليعملها أنساك كل كمى هز عامله

غير أن كلامه فى الألباء يسرى مسرى كئوس الصهباء لو قرطت بيواقيته آذان ابن عبد الحميد أصبح فى صناعته غير حميد، والحريرى وابن خاقان لما اهتديا إلى جمع المقامات وقلائد العقيان، ما برز فى موطن بحث إلاّ برز على الأقران، ولا أجرى جياد علومه إلى غاية إلا كانت مطلقة العنان. إيه وفيه جرى. كل الصيد فى جوف الفرا. ضم إلى علمه العمل ووصل مما أراد إلى أقصى أمل، فهو الرئيس الذى به المفاخر تحمد كعبة المجد والوفا والسخا والدين والحلم والفخار المؤيد جرت فى بحر محاسنه سفن الأذهان، فلم تدرك قراره، وعجز النظراء والبلغاء أن يخوضوا آثاره.

سما فى أهله طفلا وكهلا وأحرز كل مكرمة حقيقة

فبالإكرام وإلا كبار حقا ترى أبدا سيادته حقيقة

ولكن لا يستغرب من التبر الذهب، ومن معادنها الدرر، والسبط لابد أن يقفو الأثر.

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

أن يمن بالإجازة على المتمسكين بأذيالكم والمترددين صباحا ومساء على مجالسكم والمقبلين ثرى نعلكم وأقدامكم المسندين لحماكم المنيع واللائذين بجنابكم الأعز الرفيع محمد بن عبد القادر بن أحمد الكلالى الحسنى الشهير بالكردودى، والفقيهين الأجلين أخيكم سيدى محمد وسيدى محمد الطالب بن العلامة سيدى حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى المرداسى، ونحن وإن لم نكن لذلك أهلا فاقبلوا ذلك منًّا منكم وفضلا، عسى أن يهب علينا من نفحاتكم العظمى ما نستوجب به من الله مزيد الرحمى.

ولسنا لـذا أهلا ولكن فـضلكم به نرتقى والمرء يسـمو بكم قـدرا

وتكون تلك الإجازة من سيدنا مـحققة مصرحة القـرينة مطلقة على الشرط المعتبر فى الأداء عند أهل الأثر، شاملة للمعقول والمنقول فى كل حكم محصل أو معدول، جامعة للأصول والفـروع فى نوع المفردات والجموع، ليحصل لنا الدخول فى حماكم العظيم، والتشبث بجانبكم الأعز الكريم، ونظفر بالمنى والنجاح ونتشبه وإن لم نكن مثلهم فالتشبـه بالكرام رباح، وإن رشحت ذلك بذكر من تحملت عنه العلم من الأئمة الأكابر الذين افتـخرت بهم على الأوائل والأواخر، كان ذلك تمام الأمنيـة وإنما الأعمال بالنـية، وحاشـاك أن تمد إليك الأيدى فتـردها خلواً، وأنت الحائز لكل الفضـائل والفواضل، أخا صنوا أو يقرع فـضلك فلا تفتح بابك، ولا تسدل على المعتقين أطنابك وغير مستغرب إقبالكم على أمثالنا وإعطاء من لاذ بكم البغية والمنى:

ولا غرو أن يعطى المنى لائذ بكم ويلقاه وجـه السعد متضـح البشر

وفـضلكم يغشـى المطيع وغيـره كما تمطر الأمطار بالترب والصخر

ويعلم الله أن النفس لا تـسمح بهـذا الأمر لسـواكم ولا تبـوح بمرامهـا إلا لعلاكم:

بقـيت بقاء الدهر يا كـهف أهله وهذا دعـــاء للبـــرية شـــامل

وصلى الله على سيـدنا محمد خاتم أنبـيائه ومبلغ أنبائه وعلى آله وصـحبه وسلم تسليما».

شعره: من ذلك قوله مادحا شيـخه سيدى إدريس بن زين العابدين العراقى كما بنص استدعائه الإجازة منه:

مـا كل ربة ملك جل بلقـيـسـا ولا الذى يخرق العـادات تأسيـسا

لا تحـسبن الهـدى بحـسن بادية فكم ترى من وضى فـاق إبليـسـا

وكم حكيم ولكـن ليس ذا حكم ويدعى أنـه بجـهله عـيـسى

وكم أجوب بـشوق كاد ينـشرنى على أحظى بمن مـا حـام تدليسـا

فما ظفرت وهب أنى سمعت به فـذاك أشـبه بـالعنقـاء إن قيـسـا

حتى تـبسمت الآمـال عن شنب كـسا الليـالى ترصـيعـا وتجنيسـا

فـإذ أنا بابن زيـان الذى شـرفت به المعـالى العراقى الحـبر إدريسـا

دامت لنا طلعة النحرير فى وهج وزاده الله تـأييـدا وتقـديسـا

وقوله مادحا شيخه ابن كيران وموريا باسمه فى استدعائه الإجازة منه:

أكـرم به لوذعـيـا عـز تمثيـلا ومـفـردا فـاق إجمـالا وتفـصـيـلا

لا عـيب فـيه سـوى من قـد ألم به ينال فـخـرا وتأييـدا وتبـجـيـلا

قد طيب الدهر من طيب اسمه كرما فـدام فى مـفـرق الأيام إكليـلا

وقوله مادحا العلامـة أبا العباس أحمد بن التاودى بن سودى بمناسـبة ختمه المختصر الخليلى عام ثمانية عشر ومائتين وألف بفاس القروين:

حنانيك نبـه غـائبا يـرقب السعـدا بطلعـة سلمى أو بجـارتهـا سعـدى

وما زال يـستشـفى الغرام بـطيفـها فـمـا منحت إلا التـأرق والصـدا

فـها عـرفهـا ناجى الفـؤاد ولم يبن يصـافـحنا ممـا به أخـجل الوردا

وكنت أخـال الحلم حـتى تبـينت فأبدت ذكاء فى دجى جـمعت ضدا

وحـورا وريعـا والقـواضب والقنا بناعم خوط يغضب السـمر والأسدا

وجيد منصى لا لتزداد بهجة ... ولكن ليبدى حسنه أيما وردا

وطرف كحيل فاتر دون حاجب ... أزج فحيم يرهب العادى الوردا

ومن عجب طعن الجفون وهل سرى ... طعان جفون دون أسيافها قدا

وفرع أثيث حالك بذوائب ... ثلاث يغشى متنها رائقا جعدا

عجبت له يغرى مسامع قرطها ... حديث خدام فى خداه لها رأدا

وبالغرة الغرا تردى تولهى ... بوجنته حتى انثنت خلتى رشدا

فقلت لها رحماك يا روح مهجتى ... بصب رهين فى جمالك لم يفدا

وكم جاب من فرط الجوى ولواعج ... من الشوق صحصاح الفلا الغور والنجدا

وكم لعجت منه الحوائج والحشا ... ولولا صبيب الغور أنضجت الجلدا

وكم طلق الغمض الثلاث جفونه ... طلاق الحسام العضب يوم الوغى غمدا

وكاد الهوى العذرى ينحو بعطفه ... إلى نحو عرف العطف منك فهل أبدا

فقالت فأبدت منه أنفس جوهر ... فما خلت إلا أنها نثرت عقدا

هنيئا وطب نفسا بدانى احتفالنا ... ودونك بعد البين من وصلنا ودا

رشفنا كئوسا من معين رضابها ... فآونة صهبا وآونة شهدا

ولا عيب فيها غير أن إزارها ... وثير كما بالخير قد وشحت بردا

ومما أثار للفؤاد أنينه ... رنين جمال أو سوار علت زندا

وقد خضبت رخص البنان بعندم ... تمثل دمعى رأد بينونة الغيدا

وأعجب منه ظنها فتبسمت ... بأى نظام خلته الجوهر الفردا

بذات أقاح كان طى لنشرها ... ورثنا الذى أبدى الشر ود له فقدا

فـأعـزز بهـا من منـحـه بين بضـة ... رداح وبين جـنة قـد حـوت خلدا

ولا عـــــاذل واش ينـم بولـينـا ... عـدا الأعطرين المسك إذ ذاك والندا

كـــأنـا وأفنان الـرياض وزهـرها ... همـــام يحلى جـنده الدر والنـقـدا

كـأن الربى إذ خـدد النهـر خـدها ... بعـذب فـرات ناضـر طـيب الوردا

أكف عـلاها الـوشم أو طرس بارع ... يســـجله أو أرقـم رائد بـيـــدا

كـأن الغضـا والبـان فى حـركاتهـا ... بأيدى الصـبا صب يمـيس بها وجـدا

ولمـا تـلـت أوتـارنـا آيـة الـهـنـا ... وباحت بـتـحلـيل العناق ولا حـدا

وشى بالذى نـلنا بالبـلابل غـبطة ... فصاحت على الأدواح تلتمس الرصدا

فـسل لذاك الصـبح صلت جـبـينه ... وأفضت إليها الشـمش من رمضها جندا

كـأن سناه طلعـة الحـبر أحـمـد بـ ... ـن سودة فى أفق العلا صافحت سعدا

ولاحت على وجـه الخوافق فـانثنى ... صقـيل الردى من بعد عـمتـه السودا

كـــمـا بدت الغـــراء للدين غـــرة ... فـبـــان ذكـــاء لا كنار عـلت طودا

فأعـشى عيـون الملحدين شـعاعـها ... وأمـست ممـضـاة الجـفـــون به رمـدا

وأصـــبح هذا الدهر يزهـو مطاولا ... على صـــدره إذ حله فـــاقـــد ندا

وحق له بـالجـــهـــبـــذ المرى الذى ... أشـاد سنام المجـد مـن بعـد مـا هدا

ومن بان فى أفق المـكارم مـذ نشـا ... هـلالا ولكـن لا أفـــــول ولا أردا

ومن لم يـزل متن الثـــريا نـعـــاله ... ومـا فوقـها الجـوزاء من تحتـه مهـدا

ومن عـز بعض من حـسان خـلاله ... فـعـز فـأضـحى فـى براعـتـه فـردا

ولا عـجب من نقـطة اليم والحـيـا ... ولا سـيـمـا إن كان صـيـبـه جـودا

وما ذاك إلا من عذول معنف ... يرى حصر أوصاف السميذع والحدا

ولم يدر إن أربت على المزن والحصا ... ومن لى برد المزن أو حصرها عدا

وهب حصرها ما كان ضرك لو سرى ... بك الفكر فى آياته الألف والأحدا

وهل يجحد الشمس المنيرة نورها ... سوى مائن أو من يرى الطعن واللحدا

رويدك هل ما قد كفاك فإنه ابـ ... ـن فخر سرى أسس الفخر والمجدا

وكعبة سؤدد وذروة عزة ... وبحر يموج بالعلوم وبالأسدا

وبدر سبيل الدين والحق والتقى ... وطود الهدى ما أنفك رائده يهدا

وأفضل ذى حلم وصفح ورأفة ... وكان بأمر الله منصلتا جلدا

وخير إمام قلد العدل فى الورى ... ومن قد تولى فيهم الحل والعقدا

حلاحل من بالأرض شرقا ومغربا ... ومصقعهم من فاخر الفخر والسعدا

له ضِئْضِئٌى[1] قد طاب فرعا ومحتدا ... ولا زال يسمو ما سما ووفى جدا

بدور سماء كلما انقض واحد ... بدا مثله أو فائق أثره سردا

فدمتم سراة الناس يا آل مرة ... ولا زلتم فيهم مثقفة ملدا

ولا زال نجل التاودى محمد ... سماء سحاب تمطر العلم والأجدا

لعمرك قد أحيا موات قلوبنا ... حيا علمه الوبل الذى لم يزل رغدا

فعاد غشاها من صداء جهالة ... نضيرا وغض العطف يحكى لنا الجدا

وقلد أجياد العقول فرائدا ... منضدة فى سلك لفظ له أندى

فما الغانيات ما الرحيق معتقا ... وما الطير فى أفنانه ينشد الرصدا

---

(١) الضِّئْضِئُى: الأصل.

إلى أن قال:

عشيرتنا قد تمم الدهر ودنا ... بيوم وصال من خليل وفى وعدا

فظلنا وهذا اليمن والسعد خادم ... وهذى سرادق الْهَنَا خيمت جدا

فمن منح ما أسلف الدهر مثلها ... فلله ربى أُدمن الشكر والحمدا

جزى بجزيل الجود والطول والولا ... أئمتنا من منهم بان أو أودى

حماة حريم الدين من جنف الهوى ... ومن بذلوا فى حمل أعبائه الجهدا

أراحهم فى رحب خير جنانه ... بخير جوار الخاتم الرسل والأهدا

عليه صلاة الله ما قال منشد ... حنانيك نبه غائبا يرقب السعدا

وقوله:

هم بالذى سكن الوجود بسره ... ودع السوى فى حبه وتجرد

وأقم على النفس الحدود فإن أبت ... فجزاؤها من سجنها لا تفتدى

وقوله:

أتطمع فى الحياة بغير موت ... ويعجبك الثناء وفيه داء

وأقبح ما ترى من ذا وذاك ... غرام ليس يتبعه سخاء

إذا ما البخل أصبح عند قوم ... فقد أمسى بأرضهم البلاء[1]

نثره: من ذلك قوله فى استدعائه الإجازة من شيخه سيدى إدريس بن زين العابدين العراقى المذكور:

«الحمد لله الذى زان نوع البشر بإجازة أفراس فكره فى مجال المعانى.

(١) فى هامش المطبوع: «البيت للإمام الشافعى».

وأكمل مزاياه من بين سائر جنسه بترجمان البيان وعنوان المبانى. فلم ينفك مقتنصا ظبـاء الفـرائد. ومـعـربا عن عـرب العيـن الخرائد. إلـى أن بدت رافلة فى حلل الطروس وحلى السطور. شاهدة ببراعة القدرة وبداعة المقدور.

وأشـهد أنـه الله الذى جل ثناؤه. وكـمل سناه وسناؤه، وعـمت رحـمتـه وآلاؤه. وعذب لأوليائه لأواؤه.

وأشهد أن سيـدنا محمدا عبده المحلى بحلى الفـضائل والفواضل. والموشح بوسـيم الوسائل. وسـرى المسائل. الصـادع بأحكام الأحكام المعنوية والحـسيـة. والمفسر حديث أسرار الحـضرة القدسية. أعظم الحائزين قصبـات السبق فى ميادين الكمالات. وأفخم الفائزين بروائع الخـلال وجوامع المقالات صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصـحابه الذين حـملوا لنا راية الفـروع والأصول. وظفـروا بقصـارى الأدب ونهاية الوصول. صلاة وسلاما دائمين صادقين بلا مين.

وبعد: فإن أنفس ما تنافست فيه نفائس الأفكار. واصطفته على حسان حور الأبكار. وماست به طربا. وهويته منى واربا. واستطابـته شذى وريا، وفاخرت به طلعة الثـريا، وفيه عـذب رشف كئوس المنيـة. وبه تمت الخلال السنية. وتحـققت الحقائق. وكـشفت البراقع عن وجوه الـدقائق. وشيدت أركان المراقى. ومـيز بين السافل والراقى. وفى فضله تقاعست الألسنة. واستـحوذ عليها فتور وسنة. فنون العلم التى ناهيك فى علو شأنها. وعزة قدرها وسلطانها. أن منها ما عرف إيحاء. وما كان أنحاء. وما تفنن عن ذى الأصـول الجليلة. وما هو إلى الكل وسيلة. بيد أن بعض القلوب جـبل على الغبطة. وذلك أفلح مطلوب وأنجح خـطة. وكيف لا وقد قـرن الله تعالى شـهادته بشـهادة أهله. وجـعل سبحـانه البينونـة بين إدراكه وجهله. كما جاء أنهما فى غاية المباينة. وليس الخبر كالمعاينة. وبعض الأفئدة طبع عليه بطابع الحـسد. وأفصح بذلك عنوان الجـسد. فعمل بموجـبه ومقتـضاه. وآثر

للشيطان هواه ومرتضاه. غير مكترث بأنه من أعظم السيئات. وإن ما قدره سبحانه لا بُد آت. فما أخسر متجره ونصيبه. وما أعظمها عليه من مصيبة. ولقد ابتليت بقوم عميت عليهم الأنباء. وحملوا من الأضغان والإحن الأعباء. فهم عن غرر المحاسن لا يتساءلون. ولا بطلعتها يتفاءلون. وإنما يبحثون عن الأدون والمساوئ. دون الأرجح والمساوى. ومهما عاينوا تحبيرى فى فن من الفنون. خاب رجاؤهم وساءت الظنون. وكادت تعاجلهم المنون. يودون حينى. واندثار رسمى وأينى. ومع هذا فهم كما قيل:

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غراب

إلى أن قال إثر شعره المتقدم:

«ثم هأنا أقترح من أنامل قرائح الجنان. وأستوهب من سحائب البنان. أن تسمح بإجازة رافلة فى معرض الإتقان. على بهجة تخر لها الأذقان. ما نسج بارع على منوالها، ولا ظفر طامع بأحوالها. تزرى بكل أنيس مطرب، ويغبط فى روائعها المشرق والمغرب» وهو أطول من هذا وأطنب فيه وأطاب وأبدع ما شاء.

وفاته: توفى فجأة برباط الفتح يوم الأربعاء حادى عشر صفر الخير سنة تسع وأربعين ومائتين وألف، ودفن بدويرة بالزاوية الناصرية بحومة أبى القرون.

١١٣- التهامى: ابن المهدى المزوار المكناسى النشأة والدار.

حاله: نابغة أديب أريب، وجيه لبيب، ناظم ناثر، واعظ فصيح اللسان عدل رضى مبرز.

تولى الوعظ بالضريح العلمى وبكرسى عنزة المسجد الأعظم وخطة العدالة بالحضرة المكناسية وتصدر للشهادة وكان يتعاطاها لتاريخ شعبان عام اثنين وتسعين

ومائتين وألـف وقبل ذلك وبعده ثم استكتب بالديوان السلطانى مـدة ثم أُخر عنه مدة ثم أُعيد إليه فصار يظعن بظعن الجناب الملوكى ويقيم بإقامته.

له شعر رقـيق يفرغه فى قالب رشيق حـلاه عصريه السيد أحـمد بن الحاج الفاسى فى بعض مـؤلفاته بما لفظه: الفـقيه الأديب الماهر الحـائز قصبـة السبق فى الفصاحة والبلاغة النـاظم الناثر الهمام الذى لا يقاوم والماجد الذى لا يزاحم، من سمـا فى سماء التـوثيق بدرا، وارتفع فى سلم العلوم سرا وجـهرا العدل سـيدى التهامى المزوار المكناسى. انتـهى. وكان معدودا من شعراء الدولة الحـسنية وأعيان كتابها لو جمع شعـره لجاء فى مجلد ضخم لكن مع الأسف ضاع جله إن لم نقل كله.

مشيخـته: أخذ عن خاتمة المحققـين الفقيه القاضى سيـدى الحاج المهدى بن سودة والعـلامة القاضى سـيدى العبـاس بن كيران ووالده سيـدى محمـد المهدى وغيرهم.

شعره: من ذلك قوله وهى قصيدة تسمى بالسحر الحلال فى الذب عن أهل الكمال أو تشـنيف المسامع بتوبيـخ البذىء بأفظع المقارع أو نصـرة الأماجـد بقمع الأباعد:

عنك أهل الجـحـد والأهواء ... وانبـــذ بشـــيع كـــلامـــهم بورا

لاموك من حيث ارتضيت أخاهم ... لجناب عـــزك حـــارســـا بـفناء

إيلام من لأخـيه أصـبح حاسـدا ... فى فـــعلـه ومـــقـــوله لســـواء

مـا ذاك إلا من اليم العجـز عن ... إدراك هذا الـشـــأو دون مـــراء

مع أن ذا شـرف لهم بـأخـيـهم ... إذ صـار يحـرس منـزل العظمـاء

لكنه قـد فـاقـــهم بالقـرب من ... حـبـر شـريف من بنى الصلحـاء

ذاك الشـريف المرتضى مثـواه من ... مـــثـواه طال كـــواكب الجـــوزاء

من معشر أهل السيادة والسعادة والندا والفضل والآلاء

من معشر حظى الزمان بعلمهم ووجودهم بسعادة شماء

من معشر لهم المآثر والمفا خر قد سمت من قوق كل سماء

سل عنهم الحطاب فى كم موضع من شرحه لأبى الضياء ضياء

وسل ابن رحال مع الفاسى فى تثبيته فى الليلة الليلاء

وسل التتائى والمحشى تلق ما يشفيك فى الأنقال والأنباء

وسل الزمان وأهله عما حووا من رتبة ومزية ودهاء

ومجادة وزهادة ونزاهة وكرامة مصحوبة ببقاء

ناهيك من شرف فخيم قد غدا فى الدهر مثل الغرة الغراء

ناهيك من مجد تأثل واعتلى فى عزة مسموكة علياء

من ذا يطاول سادة قد خلدت آثارهم بدفاتر العلماء

من ذا يطاول شبلهم علامة الـ أعلام فى فهم وحسن وذكاء

من ذا يضاهى مجده وكماله فى حلة التقريب والإقصاء

يا سيدا أهدى لنا من يمه دررا تبددت عن سنى سناء

لا تنزعج مما عراك فمن عوى يرمى بها ذى الصخرة الصماء

هذا وعن قرب ترى ما تشتهى فى سائر الأعداء والرقباء

فلأنتم من نسبة مبرورة جلت مفاخرها عن الإحصاء

لا شك أن الله يحمى جاهكم ويغار فى الإصباح والإمساء

أوما درى القالى بأنك من سلا لة سيد الإرسال والإنباء

وبأن بدرك فى حمى مولاى إدريس الرضى الحامى من الأسواء

وبأن مولانا أمين الله قد غطاك منه بعطفه الوضاء

أو ما درى ببنى الشهيد المرتضى السادة الحجاب والوزراء

أن قد أحلوكم حمى أكنافهم بعناية ومبرة وولاء

وحموك من أهل العناد فكل من قد رامكم يرمى بسهم بلاء

أعظم بهم من ماجدين وسادة وأهلة وأئمة كبراء

سادوا وأسدوا للأنام معاليا محفوفة بسوابغ النعماء

عمت مكارمهم فأصبح جودهم فى سائر الأقطار كالأنواء

أحيوا مآثر قد تلافاها بهم رب العباد بسيرة حسناء

أيلوم مثلك فى اتخاذ الكلب من لم يعرفن أحكامه بوفاء

لو كان مطلعا لما أبدى الذى أبدى من العذل الشديد الداء

فالشرع نص على اتخاذ الكلبين حيث القياس على كلاب الشاء

ومن الغباوة نكر ما هو ظاهر ومقرر فى الشرع دون خفاء

فى كلب أهل الكهف منه كفاية فى صحبة الأخيار والنبلاء

بالقرب منهم نال فضلا شامخا ومزية عظمى وحسن ثناء

فلأجل ذا نال المزايا كلها كلب الرضى مثواه دون خفاء

فلم التمشدق بالأباطيل التى قد زخرفت بالحجة العمياء

لا سيما فى جنب بحر زاخر أسراره كالشمس دون غطاء

هلا ارتدى برداء تسليم ولم يتعرضن لعداوة الفضلاء

ياليـــتـــه غطى بصـــمت جـــهله فـــالـصـــمت منجـــاة من الأدواء

مـاذا من الأســـواء جـر لنفـــسـه بإذاية الأشـــراف والفـــقـــهـــاء

ولحـــوم أهـل العلم يـعلم أنهـــا مـــســـمـومـــة تدعـــو لكـل عناء

فـــالكاملون يرون كـــلا كـامـــلا من غـــيـــر تنقـــيص ولا إزراء

والناقـصـون يرون بالنقـصـان من لاقـــوا من الكـمـــال والنبـــهـــاء

وجميع أهل النقص ليس لهم شعور بالـذى فـــيـــــهم مـن البـلواء

فـتـــــراهم أبدا علـى طول المَدَى مـــــتلـونيـن تلـون الحـــــرباء

فكذا يكون الـناقـصـون من الورى وكـــذا يكون مـــعـاشـــر اللؤمـــاء

ملئـت بواطنهم بحـــقـــد كـــامن وعـــداوة فـى غـــاية الإخـــفـــاء

يلقـــون من لاقـاهم بـبـشـــاشـة وطلاقـــــة وتـودد وحـــــبـــــاء

وقلوبـهم من أجلـه مـــحـــشـــوة مملـوءة بمكايـد البـــغـــضـــاء

فـــالله يـكفـــينا ويكـفـــيكم أذى الجـــهـــال والأوغـاد والبـــخـــلاء

والله يكفـــينا جـمـيـعـــا كل مـا نخـــشى مـع الأحـــبـــاب والأبناء

بالمصطفى والآل والأصـحـاب والـ أقطـاب والأبدال والـنقـــــبـــــاء

صلى الإلـه وسلمن عـلـيـــه مـــا مـــثـواه راح بـنصـرة الـشـعـــراء

ومن ذلك قوله فى خـتم السلطان الأفخم أبى على مـولانا الحسن صـحيح البخارى:

حـــيـــاك مـا أملـت من أوطار فـــاهنأ بـعـــز شـــامخ المقـــدار

وبشـير سـعدى قد أتـاك مبـشرا بســـعـــادة الإيراد والإصـــدار

فلذكرها فيه ارتياح القلب والـ أرواح والأشباح والأفكار
ما ذاك إلا أنها قد أحرزت شرفا بحب المصطفى المختار
خير الوجود وحصنه وأمانه من سائر الأسواء والأغيار
فهو الشفيع المرتضى يوم القضا فى المذنبين لدى التهاب النار
فبجاهه لله كن متوسلا تبلغ جميع السول والأوطار
وكن المتيم دائما بحديثه فى حالة الإقصار والإمرار
واحضر مجالسه الشريفة تدركن ما شئت من فضل الإله البارى
أوما رأينا الحاضرين لها غدوا بالروح والخير العميم الجارى
وانظر إلى الدنيا تلألأ نورها فرحا به وبختمه المعطار
وانظر إلى الرحمات بين قبابه تسعى لدا الآصال والأبكار
وتجر من طرب ذيول دلالها فكأنها ثملت بصرف عقار
وتقول ياللأكرمين تمتعوا بحضوركم لمحافل الأخيار
وردوا حياض علومه وتنعموا برياضه المتنوع الأزهار
هذى نجوم الأرض دائرة به فكأنها الهالات بالأقمار
بسكينة وتواضع وتخشع وتأدب وتنسك ووقار
ختم شريف قد تحلى عصرنا بوروده وعلا على الأعصار
فى حضرة الملك الهمام المرتدى بردا النَّدَى والجود والإيثار
المالك البر الذى حاشاه أن يلفى له فى المعلوات مجار
المالك المولى الشريف السيد الـ ـحسن الشمائل طيب الآثار

فـرد المفـاخـــر من ذؤابه هاشم فـذ التـقى فى الجـهـر والإسـرار
مأوى الديـانة والسماحـة والدها والصـفح والإغـضـا عن الأوزار
رحـمى الإله ومن بغـرة مجـده سـعـد الوجـود ونال كل فـخـار
النعـمة الـعظمى التى عم الورى إحـســانهـا كـالـوابل المدرار
لله نهــضـتـــه وفـيـــه سكونه وقـــيـــامـــه فـى ليله ونـهـــار
مـا همه إلا اكـتـساب مـحامـد ومـــحـــبـــة العـلمـــاء والأبرار
همم لعـزته الشـريفـة تجـمع الـ أعـــــدا وتسـكنـهم بـدار بوار
قل للذيـن عن الطريق تحـــرفـوا كـفـوا عن الطغـيـان والإصـرار
هذا خليـفـة ربـنا المنصـور قـد وافى ليـــقطع هـامـة الـفـجـــار
بشـر عـــداه بأخـذة ســمـوية تردى جـمـيع كـبارهم وصـغـار
هيـهـات لا وزر يقـيـهم لا ولا وطن ولا مـصـر مـن الأمـصـار
هذى أسود الـغاب تخشـى بأسه وعـــــزيز سـطوتـه بلا إنـكار
فلم التـــحـــصن بعـــد هذا إنه لســفـاهـة الأوغـاد والأشـــرار
لكن عـــذاب الله حق عليـــهم فـعـموا وصـمـوا عن نِدا الإنذار
فليـهن سـيدنا ومـولانا الرِّضـا هذا الخـتـــام المـشـــرق الأنوار
أديت حـقـا للـبـخـارى وافـيـا ورفـعت ذكـر صـحـيـحـه بمنار
وجعلت يا نجـل الرسول ختـامه عـيـدا سـعـيـــدا نيط بالأسـرار
وأفضت فـيه من المواهـب أبحرا أزرت بجـــود البـحـــر والأمطار
ناهيك مـا أوليـت من نعم ومن بر ســـجـــيل فـضـــة ونضـــار

فـالله يبقـى نصرك الممـدود فى عـز وعـافـيـة مع اسـتـمـرار
والله يبـقى الملك فـيك مـخلدا مـا هبت الأرواح فـى الأسـحـار
والفـتح والتـمكين والتـأييـد لا ينفـك طوع يمـينكم ويـسـار
وبقـيت منصـورا بقـاء الدهر يا كـهف الأنـام وقـرة الإبصـار
بالمصـطفى وبآلـه وصـحـابه والتـابعـين وسـائر الأنصـار
أزكى الصلاة مع السـلام عليه ما حـيـاك مـا أملـت من أوطار

وقوله فى ميـلادية أنشأها عام ثمانيـة وتسعين ومائتـين وألف وأنشدت بين يدى الجلالة السلطانية الحسنية بحضرته الفاسية:

هذى السـعـادة قـد مـدت إليك يدا والوصل أنجـز عـزمـا مـا به وعـدا
أم هذه نفـحة الأحـبـاب قد وفـدت من نحـو ليلى وهذا عطفـهـا وفـدا
أهـدت لنـا طـربا أهـدت لـنا إربـا أهدت لنـا قـربا لا تـنتـهـى أبدا
قـد طال ما كنت أرعـاها وأرقـبهـا قدمـا وأطلب منها الوصـل والرغدا
حـتى غـدوت بهـا فـى كل آونة أهفـو وألهج لا أخـشى بهـا أحـدا
هيهـات لى كيف أسلو عن هواها وهل أقـوى وهل أستطيـع الصبـر والجلدا
لا يسلينى أبدا عنهـا سـوى شغـفى بمـولد المـصـطفـى أجـل من ولـدا
خـيـر الورى وشفـيع الخلق قـاطبـة يوم الزحـام إذ الإحـجـام عنهـا بدا
أعلى الخـلائق جـاهـا عند خـالقـه وخـيـر من يرتجى يوم القـيـام غـدا
أصل الوجـود ومن لولاه مـا خلقت أرض ولا كـان كـون لا ولا وجـدا
فـهو البـشـيـر النذير المسـتغـاث به وهـو الذى رحـم المولـى به وهـدى

كم آيـة ظهـــرت فى آن مـــولده ... كم نعـمـة بهـرت من دان أو بعـدا
يا ســـيـد الرسل داركـنا بمرحـمـــة ... تكسـو الجـمـيع على مـر المدى بردا
وأسـدل على نجلك الميمـون سيـدنا ... عطفـــا وهيئ له مـن أمـره رشـــدا
هذا الإمـــام الذى جـلت مـــآثره ... عن أن يحـيط بهـا من رامـها عـددا
هذا الإمام الشريف الطيب الحسن الـ ... ـبر الذى صهوة الإحـسان قد صعدا
هذا ابن فـاطمة الزهراء من شـرفت ... أخـــلاقـــه وعلت فى المعـلوات يدا
هذا هو ابن رســـول الله كـعـبـــتنا ... هذا الذى قـد غدا فى الحلم منفـردا
هذا الذى هو مـأوى الخيـر أجـمعـه ... هذا الغـنى للذى أبـوابه قـصـــــدا
هذا الذى أســـعـد الله الوجـــود به ... فـــضـــلا ومنا فلـم يتـــرك به أودا
هذا الذى أصـبـحت فـينا سـيـادته ... كـهفـا منيفـا وحـصنا لم يزل سندا
هذا المؤيـد والميـــمـــــون طالعـــه ... هذا الذى بعـلاه الخلق قـد سـعـدا
فـجر الملوك ومن صـارت مناقبـه الـ ... ـغـراء حـرزا بها نسـتـدفع الكمـدا
فليـهن عليـاك يـا تاج الملوك ويا ابـ ... ـن المصطفى لـيلة خـصت بكل ندى
خـصت بمكرمـة خـصت بمرحـمـة ... خـصت بمرتبـة قـعـسـا وكل هدى
نلنا بهـــا من بهـا عليـــاك كل منى ... نلنا بـهـا الربح والأوطار والـرشـدا
دم سيـدى لابسا ثوب السـرور على ... مـر الدهور فـمـا ترضاه قـد وجـدا
لازال نصـر وفـتح يخـدمـان مـعـا ... هذا الجناب الذى أروى الورى مـددا
واليـمن والسعـد والإسـعاد يتـبعـه ... مع الســـلامـــة إصـــدارا وإن وردا
مـا أم ركب أمـــين الله رحـمـــتـه ... فـراح والعطف قـــد أولى إليـه يدا

وقوله فى ميلادية عام واحد وثلاثمائة وألف ومن خطه نقلت:

نور السعود بدا أم نور تجديد ... عم البلاد بعز منه ممدود

أم هذه نفحة جاء البشير بها ... من نحو ليلى بوصل غير محدود

سقيا لها أذكرتنا جيرة رحلوا ... يقفون بالعزم مغناها بتجريد

قد غادروا الصب فى شوق وفى قلق ... لا يستطيع حراكا حلف تسهيد

يا ليتهم رحلوا بالقلب إذ رحلوا ... فى حين يضرب بطن البيد بالبيد

حتى إذا ما رأوا تلقاء كاظمة ... أنوار طيبة مأوى الخير والجود

ألقوه فيها ففيها كل منيته ... فيها أجل شفيع خير مولود

من خصه الله بالقرآن معجزة ... تبقى فلا تنقضى بقاء تخليد

فهو الشفيع الرضا والمستغاث به ... إن أحجم الشفعاء يوم موعود

أعلى البرية عند الله منزلة ... ومن أتانا بإيمان وتوحيد

كم آية ظهرت فى حين مولده ... ميمون من غير تكييف وتحديد

فى ليلة أكرم الله الوجود بها ... علت على القدر قدرا دون تفنيد

من أجل ذلك مولانا وسيدنا ... يجدد الخير فيها أى تجديد

يحيى سوائعها فى كل ما سنة ... تبدو بمدح وتحميد وتمجيد

سنت سيادته عيدا لمقدمها ... ناهيك من شيم ناهيك من عيد

يحيى مواهبها يعلى دعائمها ... يشيد أعلامها وأى تشييد

يأتى حجيج الورى بادى الضجيج إلى ... نادى نداه بوفد غير معدود

فينظرون جمالا جل عن مثل ... ويشهدون بعلم لا بتقليد

وينظرون بحار الفضل فائضة على الوجود عطاء غير محدود
وينظرون رياح النصر واقفة بالباب خادمة من غير ترديد
فى حضرة الملك الأَسْمَى الهمام ومن إِفضاله الجم عم كل موجود
خليفة الله رحماه ونعمته المـ ـهداة للخلق من بيض ومن سود
روح الوجود وبضعة الرسول ومن ساس العباد بتوفيق وتسديد
ذاك ابن فاطمة الزهرا الشريف ومن أعد للبر بابًا غير مسدود
المالك الحسن الأخلاق والحسن الـ أنباء والحسن الأسما إذا نودى
ماضى العزائم موفور المكارم غف ـار العظائم مصدوق المواعيد
مولاى يهنيك ما أولاك ربك من عز وفتح ومن نصر وتعضيد
وليهن عزك غراء الليالى التى حيت يسعد وإسعاد ومقصود
فيها أفضت أدام الله نصرك إحـ ـسانا غدا يمه محمود مورود
شيدت للدين أعلاما أقمت له دعائما ترتضى من بعد تأويد
مع نفحة نفحت من عطف عزك أر واحا بأذكى من النسرين والعود
دامت مفاخرك العليا الشريفة فى حفظ وعافية تكسى بتأييد
بالمصطفى وبآل والصحاب وما فى الأرض من صالح من غير تقييد
دامت عليه صلاة الله ما طلعت أنوار سعد لمولانا بتمهيد

وقوله مادحا الشريف الأصيل المولى المهدى بن عبد المالك الإسماعيلى:

أمن البدور الغر نير حالك فتهللى بدرى برؤية حالك
وتمنطقت أيد بدر خطابها ناهيك من در نضيد سالك

لما شممت نسيمها أحيا بنا ... ما كان ميتا من رميم حاسك

يا عاذلى فى حبها لو حمتها ... كنت السمير بها فهل من تارك

أولو نظرت أخى لطيف خيالها ... ما لمت حبى فى هواها الفاتك

جاءت تزور فقلت ها نفسى فدا ... أما القليب فإنه فى عارك

قالت فإنى لا أبقى لحظة ... حتى تصير لنا وحيد ممالك

واها عليها ليتها جاءت على ... صب لها لو باللسان الماسك

إذ من لسان أطرب الأحشا بها ... قولى فهل من عودة لهلالك

حتى إذا استشعرت قطع وصالها ... أسعى أقول وكيف لى بخيالك

لا يطلع البدر المنير بليله ... حتى يقول ليس ذا بالتارك

كلا ولا شرقت شموس فى الهوى ... إلا وقد ظفرت بلثم نعالك

والصبح ما أهدى وحاز ضياءه ... إلا بذوق من سنا إعطائك

حل السقام بمهجتى فأتى لها ... شوقى يسألها بقوله مالك

قالت له هذا اللهيب أضر بى ... فأجابها إذ قال إنى نارك

لا تسدلى هجرا بزائر منظر ... حاشاك تبديه لصب جارك

منك استمد العاشقون فأصبحوا ... سكرى فلا يدرون ذا من ذلك

حتى غدت أجفانهم مَلأَى بما ... دمع من الشوق المذيب الضانك

أبدانهم ممزوجة بسقامها ... لا تستريح سوى بوصل المالك

الناسك بن الناسك بن الناسك بـ ... ـن الناسك بن الناسك بن الناسك

أعنى الشريف اللوذعى المنتقى ... بدر الهنا نجل بن عبد المالك

شمسا عيون تقشعر بنورها أو مثل بدر فى كمال ضاحك
إن رمت ساحته يخاطب جهرة أهلا أنا المهدى فهل من دارك
مجدا أصيلا حازه بوراثة عن قاسم عن نافع عن مالك
مكناسة بعلائه ونواله وكماله فى رخو عيش سامك
منه ازدهت منه اقتنت كل الولا منه اقتنت عليا كمال بارك
وافى كصبح ناسخ بضيائه ما هم من شر شديد شائك
وافى بآداب بحر ذيوله حتى محا بالحلم سفك السافك
هد المظالم أسس التقوى بما يرضى الإله فيا له من سالك
من طيبه الأذكى كذاك بخلقه أسدى الهدى للهائم المتمالك
فالله يحفظه ويكلاه بما يسلبه الدارين سلو تدارك
ما أعذو ذبت شمس العشى بلونها الأبهى المجدد ذكر عهدها لك
ما سبح الأطيار فوق غصونها سحرا وصبحا للكريم المالك
إلا وتهدينى شميم نداكم يسمو سمو النور فوق الحالك

وقوله مادحا الباشا عبد الله بن أحمد:

ما ترتجيه من الإقبال والإرب وافاك مرتقيا فى أبهج الرتب
والوصل دان وشمل الود مجتمع والسعد ينبئنا بأنفس القرب
هذا أوان اللقا هذا أوان الرضا هذا أوان الهنا فانهض إلى الطرب
وهذه نفحات الخير لائحة فقر عينا وطب نفسا وطب وطب
واعلم بأنك قد حللت ساحة من سادت مآثره بالعلم والأدب

وقـــد أنخت بباب مـن مناقبـــه قـد طرزت بـحـلاها سـائـر الكتب
وقـد أتيـت إلى من نور طلعـــتـه فيـه الهدى والندى يصب كـالسحب
عـبـد الإله الذى تنجى مـحـبـتـه من حـادث الدهر والأسـواء والنوب

إلى أن قال:

بالأنجم الزهر قـد حفت مـجالسـه والخـيـــرين وأهـل العلم والـنسب
ناهيك من شرف حازت ومن ظرف ضمت ومن كرم ضـخم ومن حسب
فليـــهن فـاس حلول الألمعـى بهـا فـالآن قـد أمنت حـقـا من العطب
كـمـا به أمنت مـكناسـة وسـمت وبلغـت كل مـا تـرجـوه مـن طلب
يا سـيـدًا شرفت أخـلاقـه وزكت أفـعـاله من بـالإقـبـال واسـتـجب
ها وفـد مكانسة قـد جاء مـرتجيـا منك الرضـا ولـذاك خـيـر مـرتقب
فامنحهم منك مـا شاءوا وما طلبوا وجـد بعطف سـريع منـك منسكب
لازلت فى عـزة تسـمـو وعافـيـة فى النفس والأهل والإخوان والعقب

وقوله فيه أيضا:

بدريـة سلبـت حـــــشى وقلـوبا ببـــديعـــهـــا وأنالت المرغـــوبا
جـاءت تميس من الدلال فـصاحـة من حـسنـهـا راح الفـؤاد سليـبـا

إلى أن قال:

شـــمس الأئـمـــة والذى آلاؤه قـد عـمـرت للقـاصـدين جـيـوبا
عـــبـد الإله وحـــجـــة الله الذى شـــرفت مـآثـره وفـاحت طـيـبـا
بدر البـــدور وجنة الدنيـــا التى عـمت بخـيـر قـاصـيـا وقـريـبا

والنعـمة العظمى التى قـد حببت ... فى المكرمـات وأهلهـا تحـبيـبـا
مـا من أديب قـد تـأثل مـجـده ... إلا ومن نـعـمـاه كـان أديبـا
فـإذا أردت مـديحـه لاقـاك إسـ ... ـعـاد يكون ملبـيـا ومـجـيـبـا
وإذا أتاه الـطالبـون لحـاجـة ... نظروا الغنـا والسـعـد والتـرحـيـبـا
كل الـقلوب تحـبـه وتحب أن ... تلقى مـحـيـاه الرضى المحـبـوبا
يا من بـعـزته وعـطفـة مـجـده ... نلنا الأمـانى مـشـهـدًا ومـغـيـبـا
وصلت هـديتك السـنيـة بـالذى ... سـلا وطيب نـفـسـنا تطيـيـبـا
نلنـا بهـا آمـالـنا فى مـحـفل ... قـد رتبـت أقـمـاره ترتـيـبـا
جـمع المكارم والـدهاء فـلا ترى ... إلا إمـامًـا فـاضـلا وأريـبـا
جـمع الأئمـة والنجـوم وكلهم ... يحـلو بأسـرار الـعلوم كـروبا
وسـراجنا من بيننـا العـلامـة الـ ... ـمـخـتـار إكليـل ينيـر قـلوبا
فـتـراه فـى أحـيـانه مـتـفـرغـا ... للمـكرمـات مـبـادرا منسـوبا
وترى مـجـالسـه على طول المدى ... مـثل الثـريا صـوبت تـصـويـبـا
أرواح سـيـرته الحـمـيـدة كل آ ... ن بـالوداد لـنا تـهب هـبـوبا
لا زال مـجـدكم ومـجـد عـلاكم ... بسـلامـة وسـعـادة مـصـحـوبا
فى الـنفـس والأولاد والإخـوا ... ن والأزواج مع من أحـرز التـقريبـا

وقوله مادحا قاضى الحضرة المكناسية أبا العباس بن سودة المترجم آنفا:

جـاء وصل الرضـى ووفى وعـوده ... فى ابتـهـاج أبـقى الإله وجـوده
واسـتـبـانت فـواتح من سـعـود ... عـمـت الكـون غـوره ونجـوده

ألبستنا من السرور برودا يا هناء الذى كسته بروده

مثل ما قد كسا حبور قدوم للهمام الرضى الأجل ابن سوده

بحر علم يموج فهما وحفظا وذكاء يبدى الفنون المفيده

فى غير هذا:

وفاته: توفى فى محرم الحرام فاتح عام عشرة وثلاثمائة وألف بمحروسة فاس.

١١٤ - التهامى بن الطيب أمغار المكناسى الأصل والإقبار.

حاله: فقيه علامة مدرس متقن أديب فاضل شاعر بليغ، نفاع لوذعى، لبيب ضابط، ملازم للصمت، كثير الحياء.

مشيخته: أخذ عن السيد الغازى بن الحاج العربى بن عبود، وسيدى محمد ابن الحسن الوكيلى الشريف وغيرهما.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد ـ فتحا ـ بن محمد بصرى صاحب الثبت المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، وناهيك به وغيره.

شعره: من ذلك قوله من مقصورة تقصر عن الإتيان بمثلها نبغاء فحول الأقران وقد قدمناها بتمامها فيما نقلناه فيما قيل فى مدح مكناسة:

لله ما أبهى عمائر الحمى معالم الأنس مطالع المنى

معاهد ما برحت محفوفة بظل أمن من فردايس الهنا

وفاته: توفى صبيحة عيد الأضحى من عام...[1] ومائة وألف.

(١) مكان النقط بياض بالأصل.

١١٥ - التهامى أجانا المكناسى الأصل والدار.

حاله: فقيه وجيه علامة مدرس نبيه.

وفاته: كانت وفاته أواسط المائة الثالثة بعد الألف.

١١٦ - التهامى البورى نسبا الدرعى منشأ.

حاله: علامة مشارك متضلع نحرير فاضل ناسك مدرس نفاع محرر ضابط، حجة محقق خطيب مصقع بليغ.

تولى القضاء بمكناسة الزيتون فحمدت سيرته، وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ سابع عشرى ربيع الثانى علم ثلاثة وثلاثين ومائتين وألف وآخر بمهل ربيع الأول عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، وآخر بتاريخ سادس عشر رجب عام ثمانية وعشرين ومائتين وألف، محلى بالفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل، الصدر النحرير الأكمل، القدوة والبركة الأحفل، الحافظ الحجة الأعدل قاضى هذه الحضرة السلطانية الهاشمية مدينة مكناسة الزيتون وخطيب مسجدها الأعظم وهو التهامى بن حم البورى وتولى أيضا قضاء مدينة صفرو.

مشيخته: أخذ عن الشيخ الطيب بن كيران والشيخ حمدون بن الحاج والشيخ أبى عبد الله الزروالى والشيخ أبى عبد الله بن منصور وغيرهم.

مؤلفاته: منها شرح أرجوزة شيخه ابن كيران فى الاستعارات وعليه إقبال الطلبة الآن وبه يقرءون النظم المذكور.

وفاته: توفى بمحروسة فاس سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف، ودفن بروضة العلماء شيوخه متصلا قبره بقبر شيخه ابن منصور عند رجل شيخهما معا سيدى الطيب رحم الله الجميع.

١١٧ـ التهامى بن عبد القادر المركشى المدعو بابن الحداد المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله فقيه أستاذ مجود علام بقراءة السبع انتخبه السلطان المولى الحسن لتأديب إخوته بالحضرة المكناسية ثم رشحه لتأديب أولاده ووجهه معهم لبلاد أحمر بالقصبة الإسماعلية، ثم عينه السلطان المولى عبد العزيز لتعليم شقيقه الخليفة السلطانى الحالى بفاس سيدى محمد المهدى، فاستوطن فاسا لذلك مدة أعوام ثم رشحه السلطان المولى عبد الحفيظ لقضاء فاس الجديد إلى أن أعفى منه بطلب منه، وقلما باشر الأحكام بنفسه، وإنما كان له نائب وهو العلامة السيد محمد بن عبد القادر بن سودة يباشر الأحكام غالبا ويخاطب على الرسوم، ورحل إلى حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وذلك عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، ودخل مصر وجرت له من ابن عمنا وشيخنا قاضى مكناسة الحالى العلامة ابن العباس بن المأمون البلغيثى قضايا عجيبة فى هذه الرحلة، منها أنه أى المترجم ندبه إلى زيارة أبى طالب وأكثر الإلحاح فى ذلك فقال له إنى لا أزور كافرًا فأجابه بأن الإجماع منعقد على إيمان أبى طالب، وإنما الخلاف فى أبى لهب.

ومنها أنه ذهب لدار أبى سفيان فلما دخلها ابتهج ابتهاجا زائدًا وصار يقول اللهم لك الحمد اللهم لك الحمد فقيل له فى ذلك فقال لأنا آمنا لأن النبى ﷺ قال من دخل دار أبى سفيان فهو آمن وقد هجاه شيخنا المذكور بقصائد وقطع من ذلك قوله:

رمانى ابن حداد بجهل ديانتى ... بمحفل علم بين قوم أفاضل
فلما استبين الفدم عن وجه جهلها ... بدا أنه غمر وأجهل جاهل
عجبت ولكن لا تعجب من فتى ... يرى العلم جهلا والبذا فى الأفاضل

إلى أن قال:

فإن عـدت نحوى يا قـمامـة كانس بفـــرية كـــذاب على جنب كـــامل

نعـد عـودة أخـرى بنعل عـددتهـا لقـمـعك تبقى نـشدة فى القـبـائل

وإن تبت من إيذاء جـانب أحـمـد نزلت بـربع آهل غـيـــر مـــاحل

فـود ذوى القـربى سـعادة مـهـتـد وبغض ذوى القـربى شـقاوة خـامل

ثم بعد تاب المتـرجم وأناب وشد الرحلة لشيخنا بالـدار البيضاء مدة تـوليته خطة القضاء بهـا وقبل قدميه وطلب منه السـماح فيما صـدر منه فى جانبه وذلك شأن الكرام المهتدين فعـفا وصفح ثم فى صدر دولة سلطاننا الأعظم المولى يوسف أبد الله نصره وزين بمزيد الترقيات عصره رجع المترجم لمسقط رأسه مكناسة الزيتون ولم يزل بها إلى أن ختمت فيها أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن المفـضلين ابن عزوز والسوسى، ومولانا عبد الله الكامل الأمرانى، وربما كان السـارد بين يديه والشيخ ماء العينيـن، والفقيه الحاج مـحمد جنون مخـتصر الرهونى، وسـيدى محـمد بن التهـامى الوزانى، وشيخنا سـيدى محمد القادرى، وغيرهم من عظماء شيوخ فاس ومكناس.

وسمع من أبى عبد الله محمد الوادنونى المسلسل بالأولية عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف ومن أبى جيدة الفاسى المسلسل بالقراء بوضع اليد على الرأس عند قراءة آخر سورة الحشر عام سبعة عشر وثلاثمائة وألف.

الآخذون عنه: أخـذ عنه السلطان السابق المولى عبـد الحفيظ وقـد ذكره فى نظم مغنى اللبيب بقوله:

كشيخنا طود العلوم الراسى بحر الهدى التهامى المكناسى

والعلامة السيد محمد السوسى، وسيدى مشيش بن المختار الشبيهى نقيب الأشراف والفقيه الأستاذ السيد محمد ـ فتحا ـ بن العربى بن شمسى، والفقيه العدل مولاى على بن الشاد الأمرانى وعم مولانا المنصور مولاى بو بكر بن السلطان سيدى محمد، ومولاى الكبير صنو مولانا المؤيد المنصور وغيرهم.

مؤلفاته: له شرح على نظم المولى عبد الحفيظ السلطان السابق فى علم القضاء الموسوم بالياقوتة فى جزأين وكان يستعين فى تأليفه ببعض نجباء الطلبة المكناسيين وغيرهم،وعهدى بهذا الشرح فى الخزانة الحفيظية، وشرح على مولد شيخنا ابن جعفر الكتانى إلا أنه لم يكمل، وقد لعبت به بعد موته أيدى التلف والتأليف فى الجهاد إلا أنه أصبح فى خبر كان.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الإثنين فى آخر يوم من شعبان عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى بوطيب.

لطيفة: من عجيب الاتفاق أنه فى ذلك اليوم عزل قاض وولى قاض ومات قاض والكل بمدينة مكناس فالمعزول هو شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، والمتولى هو القاضى أبو العباس عواد السلاوى نظرًا لكونه أسلم مباشرة الأعمال فى ذلك اليوم وإن كان حلوله بمكناسة كان يوم الأحد، والمتوفى هو المترجم باعتبار تقدم قضائه بفاس.

* * *